مَنْهَجِيَّةُ التَّعبِيرِ عَنِ النِّقَاطِ التَّربَوِيَّةِ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ سُوْرَةُ الحُجُرات أُنْمُوْذَجًا

◆ المترجم: د. محمد فراس الحلباوي[٣] ◆ محمّد عليّ محمّدي[٢] ◆ عرفان يوسفي مقدّم[١]

■ خلاصة

إنَّ الهدف الأسمى من نزول القرآن الكريم للعالم هو إرشاد الناس إلى طريق الحياة الصحيح، وبعبارة أخرى تربية الناس على الطريق القويم.

يحاول البحث الحالي بيان أهم أشكال التعبير عن النقاط التربوية المُستخدَمة في القرآن الكريم بالمنهج الوصفي التحليلي، وتقديم أمثلة عليها من سورة المباركة «الحُجُرات» التي تُعرف بالسورة الخُلُقيّة التربويّة في القرآن الكريم، ليتمكّن الجمهور من التعرُّف على هذه الأساليب وتعبيرها القرآني بنحو أفضل. للقرآن الكريم عدَّة أساليب للتعبير عن المفاهيم التربوية، أهمُّها سبعة أساليب، وهي: ١. التذكير؛ ٢. الوعظ والمشورة؛ ٣. التشجيع والعقاب؛ ٤. تحفيز العواطف؛ ٥. الأمر والنهي؛ ٦. عرض القدوة الحسنة؛ و٧. رواية القَصص. وقد عرضت هذه الأساليب الآنفة في البحث الحالي، مع التركيز على سورة الحُجُرات المباركة.

الكلمات المفتاحية: المفاهيم التربويّة، المنهجيّة، سورة الحُجُرات، التربية.

١ - طالب دكتوراه في علوم القرآن والحديث، جامعة العلامة الطباطبائي، طهران. إيران.
٢ - ماجستير في علوم القرآن والحديث، جامعة العلامة الطباطبائي، طهران. إيران.
٣ - دكتوراه في اللغة الفارسيّة وآدابها، مدرّس في جامعة دمشق، ترجمان محلف.

Methodology of Expressing Educational Points in the Holy Qur'an:
"Al-Hujurat" as Model

◆ **Erfan Yousefi Moghaddam**

PhD candidate in Quranic and Hadith Studies, Allameh Tabataba'i University, Tehran, Iran.

◆ **Mohammad Ali Mohammadi**

Master's degree in Quranic and Hadith Studies, Allameh Tabataba'i University, Tehran, Iran.

◆ **Translated by: Dr. Mohammad Firas al-Halbawi**

PhD in Persian Language and Literature, Lecturer at Damascus University, certified translator.translator.

■ Abstract

The ultimate goal of the revelation of the Holy Qur'an is to guide people to the straight path of life and nurture them upon it. This research aims to elucidate the most prominent educational methods in the Holy Qur'an, using a descriptive-analytical approach, with a focus on Surah Al-Hujurat, which serves as a model for moral education. This will enable the reader to comprehend these methods and their Qur'anic manifestations. The research identifies seven main educational methods: reminding, admonition and counsel, encouragement and punishment, emotional stimulation, commanding and prohibiting, presenting a good example, and storytelling, illustrating these methods through their application to Surah Al-Hujurat.

Keywords:

Educational Concepts, Methodology, Surah Al-Hujurat, Education.

مقدّمة

كان الهدف الأهم والرئيس من بعثة الأنبياء الإلهيين عليهم السلام عبر التاريخ هو إرسال الكتب المقدَّسة السماوية معهم لهداية الإنسان إلى الطريق الصحيح، وتربية الإنسان بناءً على المعطيات الوحيانيّة. وفي هذا السياق، قدّم القرآن الكريم، وهو آخر كتاب مقدَّس، أشمل برنامج تربويّ للبشر حتّى يوم القيامة، لكي يهتدي الإنسان بتطبيق هذا البرنامج التربويّ إلى الهدف من خلقه. التربية هي ظهور عمل أو نشاط من جانب المُربِّي للتأثير على المُتربِّي. وقد ظهرت على مرّ التاريخ مدارس بشريّة مختلفة في مجال التربية، وحاولت توجيه أسلوب حياة الإنسان نحو أهدافها. لكن جميع البرامج التي قدّمتها المدارس البشريّة للإنسان كانت تعاني من نواقص، بعضها ظهر مع مرور الوقت، وبعضها سيظهر لاحقًا. في مجال التربية، يعدّ اتّباع طريقة صحيحة ومثمرة أمرًا مُهمًّا وضروريًّا؛ لأنَّ الخطأ في اختيار الطريقة وتطبيقها يمكن أن يؤدّي إلى ضلال الأفراد وحتّى المجتمع وتدميرهم. لذلك، فإنّ معرفة أفضل الطرق التربوية وأكثرها فعاليّة والعمل على تطبيقها يعدّ أمرًا ضروريًّا. في كلّ زمان، كان الفرد يقترح أسلوب حياة على الناس بناءً على اعتقاداته الذهنيّة، وهكذا فقد نشأت المدارس الخُلُقيّة المختلفة، ولكن على عكس الممارسات البشريّة الحاليّة، يمكن أن يكون المُربِّي في هذه الحالة هو الله الذي يقدّم للبشر أسلوب الحياة الأمثل بواسطة الأنبياء الإلهيين عليهم السلام. ومن أفضل من الله الذي هو خالق الإنسان، وهو نفسه على دراية بجميع احتياجات البشر من الطفولة إلى الشيخوخة في الدنيا، واحتياجات البشر في العالم الآخر، وبالتالي يمكنه تقديم أفضل برنامج

للحياة؟! بناءً على ذلك، لقد صوّر الله أفضل دليل للحياة البشريّة في أفضل قالب وهو القرآن الكريم، فما أجمل أن نلجأ إلى القرآن في هذا الأمر المُهمّ ونبحث في هذا الموضوع في ضوء آياته النورانيّة؛ القرآن الذي يقدّم نفسه بوصفه أسمى طريق لهداية البشر.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]. نبحث في هذه الدراسة عن الطرق المختلفة التي استخدمها القرآن لبيان نقاطه التربوية ونسعى لاكتشافها. ميزة هذا العمل هي أنّه بعد تحديد هذه الطرق، يمكن للأفراد المختلفين استخدامها في أمور التربية المُهمّة؛ التربية التي يقوم بها المُربيِّ (المُعلِّم، والوالدان، إلخ) للتأثير في المُتربيِّ (الطالب، والابن، إلخ). يمكن القول: بما أنّ القرآن الكريم هو معجزة النبي الخاتم ﷺ وكلام الله الحكيم والقادر المطلق، فقد استخدم أفضل الطرق والمبادئ التربويّة لهداية الأفراد وتربيتهم، وينبغي علينا أن نكون على دراية بها. في النهاية، تسعى الدراسة الحالية للإجابة عن هذا السؤال الرئيس: ما هي الطرق الأهم لبيان النقاط التربويّة في سورة الحُجُرات؟ ما يميّز هذه الدراسة هو اكتشاف طرق بيان هذه النقاط في سورة الحُجُرات التي تُعرَف بسورة الأخلاق والتربية، لكي نتمكّن من إظهار هذه المباحث النظريّة عمليًّا في الآيات نفسها، أو بعبارة أفضل، ملاحظة هذه الطرق في آيات القرآن.

أوَّلًا: الدراسات السابقة:

عبر تاريخ الإسلام، تناول الباحثون والمفسّرون في كتب وبحوث مختلفة مسألة التعبير عن النقاط التربويّة المُستنبَطة من القرآن، ومن هذه الأمثلة، فضلاً عن روايات المعصومين، يمكن الإشارة إلى تفاسير، مثل «أحسن الحديث» للسّيد (علي أكبر قرشي)، و«أطيب البيان» للسيّد (عبد الحسين طيب)، و«تفسير القرآن الكريم» (المنار في تفسير القرآن) لـ (محمّد عبده) و(رشيد رضا)، و«رسالة القرآن» لـ (ناصر مكارم شيرازي)، و«من هدي القرآن» للسيد (محمّد تقي المُدرِّسي)، و«تفسير النور» للشيخ (محسن قراءتي). ومن الكتب التي تناولت

إلى حدّ ما طرق بيان النقاط التربويّة في القرآن يمكن الإشارة إلى العمل المكوَّن من ثلاثة مجلّدات «طرق التربية في القرآن» الذي ألّفه مجموعة من الباحثين. ومن الدراسات الأخرى التي تناولت هذا الموضوع المُهمّ على هيئة مقالات يمكن الإشارة إلى ما يأتي: «مفهوم التربية في القرآن الكريم» لـ (أحمد زاده) (٢٠١٠م)؛ و«أساليب التعليم والتربية في القرآن الكريم وأهدافها» لـ (قائمي) (٢٠٠٤م)؛ و«عوامل التربية في القرآن الكريم برأي الأستاذ قراءتي في تفسير النور» لـ (بور موسويّ) و(ناصري كريموند) (٢٠٢٠م)؛ و«مقدّمة لأهداف التربية في القرآن ومبادئها وأساليبها» لـ (ملكي) (٢٠١١م). يمكن ملاحظة تميّز البحث الحالي في تناوله للموضوع من الجانب المَنهجيّ وتطبيقه في سورة الحُجُرات المباركة بوصفها سورة محوريّة للأخلاق.

ثانيًا: مفهوم التربية

تعني التربية[١] التنشئة والتطوير وتعليم الآداب والأخلاق لشخص ما، وبنحو عامّ تعني «التعليم والتربية»[٢]. يرى بعض اللغويين العرب أنّ بعض مشتقّات هذه الكلمة تأتي من الجَذر «رَبَبَ»، بينما يرى بعض آخر أنّها في دراسات القرآن مشتقّة من الجذر «رَبَوَ». ولكن بالنظر إلى الشكل الحالي لكلمة «تربية»، يمكن القول إنّها من الجَذَر «رَبَوَ» الذي جاء في صيغة باب التفعيل. وقد ذكر (الراغب) في المفردات: «الرب في الأصل التربية»[٣]. ومن ظاهر هذا الكلام يتّضح أنّ كلمة تربية مشتقّة من الجذر «رَبَوَ»، ومن وجهة نظره، فإنّ «رَبَوَ» هو الجَذَر الأصليّ لهذه الكلمة. ومن بين الذين أشاروا إلى هذا الموضوع (ابن منظور): «تربية وارتبه

١ - يعرّف مؤلّف المقال هنا مصطلح التربية في اللغة الفارسيّة وقد عرّبت ذلك بعموم المصطلح دون الإشارة إلى تخصيص ذلك باللغة الفارسية.

٢ - محمّد معين: فرهنگ فارسی [معجم الفارسيّة]، ج١، ص١٠٣٦.

٣ - الراغب الأصفهانيّ: غريب مفردات القرآن، ص٣٣٦.

وربّاه تربية على تحويل التضعيف وتربّاه على تحويل التضعيف أيضاً»[1]. وقد ذكر (الزبيدي) في تاج العروس هذا الموضوع بنحو آخر: «ربّ ولده والصبيّ يربّه ربّاً: ربّاه أيّ أحسن القيام عليه وتولّاه حتّى أدرك أيّ فارق الطفوليّة»[2]. وقد ذكر (مصطفوي) في «التحقيق في كلمات القرآن» أنّه عندما تستخدم مادة «رَبَوَ» في تربية الإنسان، فإنّ المقصود هو النموّ والتطوّر والتربية البدنيّة والجسديّة والماديّة، على عكس التربية من الجَذَر «ربب» التي تعني التحرُّك نحو الكمال الرُّوحي. تربية الإنسان معقّدة، ولها أبعاد وآثار ولوازم كثيرة. ويبدو أنّ المعاني المتعدِّدة -مثل الإصلاح، والتدبير الجّيد، والعناية، والتعديل، وإيجاد شيء وتطويره تدريجيًّا، والحفظ والرعاية، والملكيّة، وصاحب الولاية، والرعاية، والتغذية، والنموّ والتطوّر- التي نقلت للجذرين «ربب» و «ربو» هي من آثار التربية والسعي نحو الكمال ولوازمه[3]. إذن، بنحو عام، التربية إذا كانت مشتقّة من الجذر «رَبَبَ» تأتي بمعاني الحضانة، والإصلاح، والتدبير الجيِّد، والعناية، والإتمام والتكميل، وإيجاد شيء[4]. وفي الحالة التي تكون فيها مشتقّة من الجذر «رَبَوَ» فقد فُسّرت على النحو الآتي: الزيادة، والتغذية، والنمو والتطوّر، والارتفاع. يشير الجَذر الثاني أكثر إلى الجانب الجسديّ للتربيّة، ويشير الجذر الأوّل أكثر إلى الجوانب التربويّة الأخرى[5]. ولكن ما يُدرس في هذا البحث هو أساليب التربية. وقد عُرّف فنّ التربية على النحو الآتي: «فنّ التربية هو فعل، وأحيانًا فعل وردّ فعل، محبّ، حكيم، ذو مسار بطيء ومستمرّ ومتطوّر، وذو مدّة لا تقلّ عن فترة من المهد إلى اللحد؛ إذ يقوم فيه الشخص المثقّف (المرّبيّ) بمَهمّة التثقيف وإضفاء السعادة، وبنحو عام، المنفعة الروحيّة والماديّة لشخص

١ - محمّد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، ج١، ص٤٠١.
٢ - محمّد مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢، ص.ص٦-٧.
٣ - حسن مصطفوي: التحقيق فى كلمات القرآن الكريم، ج٤، ص١٦.
٤ - عليّ همّت بناري: تعامل فقه و تربيت [العلاقة بين الفقه والتربية]، ص٥٩.
٥ - علي رضا أعرافي: كليّات فقه التربية، ج١، ص١٩.

آخر (المتربيِّ) في السعي لإثارة الفطرة التي خلقها الله بنحو متناسق ومتوافق وتنميتها»[1]. في هذا المقال، جرى السعي، بالتركيز على سورة الحُجُرات الكريمة، إلى إيجاد الأساليب التربويّة التي استخدمها الله بصفته أعظم مربٍّ، لكي نتمكّن من تطبيقها في الحياة العمليّة. أساليب التربية في القرآن، كما ذكر، هي طريقة نقل النقاط التربويّة. وبنحو عامّ، يستخدم القرآن أساليب متنوّعة جدًّا لنقل الموضوعات والنقاط الإرشاديّة التربويّة، وهذه أحد مزايا الأسلوب التربويّ للقرآن. هذا الأسلوب نفسه يجعل الجمهور المستهدف من المخاطبين القرآنيين واسعًا جدًّا ويشمل جميع الأفراد من العلماء إلى الجهلاء. النقطة المُهمّة هنا هي أنّ الدراسات التي أجريت عن أساليب التربية في القرآن قد حدث فيها خلط في منهجيّة بيان النقاط التربويّة والنقاط التربويّة القرآنيّة نفسها؛ بمعنى أنّه في بعض هذه الدراسات، أدرجت أمور مثل تذكّر القيامة والموت، أو المراقبة والمحاسبة، ضمن أساليب التربية في القرآن؛ بينما يمكن عدّ هذَين الأمرَين وما شابههما من محتوى التربية القرآنيّة، وليس أسلوبًا لبيان النقاط التربويّة في القرآن. في المقابل، فإنّ أمورًا مثل الموعظة والنصيحة هي جزء من الأساليب التي يستخدمها القرآن لبيان المحتوى التربوي وليست مفهومًا إرشاديًّا تربويًّا بنفسها. هذه نقطة غفل عنها بعض الباحثين في هذا المجال، وبرأي الكاتب، فإنّ هذه المشكلة ناجمة عن الأسس الخاطئة لهؤلاء المؤلِّفين[2]. بناءً على النقطة المذكورة، نشير إلى بعض أساليب القرآن لبيان المفاهيم التربويّة: الأمر والنهي، والمحبّة، والاحترام والتكريم، وإعداد البيئة، وتطهير البيئة، والتعامل الحَسَن، والرفق والمداراة، والتذكير، والحكمة، والمجادلة الحسنة، والموعظة، وأخذ العبرة، والقدوة، والإنذار، والتبشير، والتشجيع، والوعد، والابتلاء، وإعطاء البصيرة، والتلقين، والعادة، والتكرار، والتغافل، والعفو والتجاوز، والتوبة، والدعاء، ومنح المسؤولية،

١ - بهروز رفيعي: آراى دانشمندان مسلمان در تعليم وتربيت ومبانى آن [آراء العلماء المسلمين في التربية والتعليم وأسسها]، ص٩٨.

٢ - عسكري إسلامپور: الأساليب التربويّة في القرآن، ص.ص ٣٨-٤٤.

والتشاور مع المتربيّ، وطرح الأسئلة، والقصص، والأمثال والتشبيهات، والحرمان، ومواجهة المتربيِّ بنتيجة العمل، والإعراض، والتوبيخ، والتهديد، والتأديب والعقاب. ويمكن تقديم هذه الحالات عامّة ضمن تصنيفات مختلفة. مثل:

١. تقسيم الأساليب إلى إبداعيّة وتصحيحيّة؛ يعتمد هذا التصنيف على وظيفة الأساليب. تهدف بعض الأساليب، مثل أسلوب منح البصيرة والنمذجة، لتفعيل السلوك والتصرّفات لدى المتعلِّم، بينما تهدف الأساليب التصحيحيّة، مثل الحرمان أو مواجهة المتعلِّم بنتائج أفعاله، إلى إزالة سلوك غير مرغوب فيه أو التقليل منه.

٢. تقسيم الأساليب إلى معرفيّة وعاطفيّة وسلوكيّة؛ الأساليب التي تساعد على تعزيز فهم المتلقّي، مثل أساليب الحكمة وطرح الأسئلة التي تعدّ أساليب معرفيّة. أما الأساليب التي تؤدّي إلى تحفيز المتعلّم، فتُسمَّى أساليب عاطفيّة، مثل أسلوب التشجيع[1]. من بين قرابة عشرين أسلوبًا ذُكرت، جُمِع في هذا البحث سبعة منها فقط ونسعى لتقديمها. هذه الأساليب السبعة هي: التذكير والتنبيه، والموعظة والنصيحة، والتشجيع والعقاب، وتحريك العواطف، والأمر والنهي، وتقديم النموذج، ورواية القَصص. يمكن تلخيص سبب اختيار هذه الأساليب السبعة من بين الأساليب المذكورة في نقطتين:

أ. هذه الأساليب السبعة تعدّ من الأساليب الرئيسة من حيث كثرة استخدامها في القرآن؛ بمعنى أنّ هذه الأساليب السبعة استُخدِمت في جميع أنحاء القرآن، ويستخدم القرآن هذه الأساليب أكثر لبيان المفاهيم والموضوعات التربويّة.

ب. يمكننا أن نجد أمثلة لكلّ من الأساليب السبعة في سورة الحُجُرات المباركة التي تشتهر بسورة التربية، لكي نتمكَّن من تقديم تعريف أكثر اكتمالاً لهذه الحالات.

١ - محمّد رضا قائمي مقدّم: روشهای تربیتی در قرآن [الأساليب التربويّة في القرآن]، ص١٨.

ثالثًا: أساليب بيان النقاط التربوية في سورة الحُجُرات

بعد بيان مفهوم التربية وأساليب التعبير عن ذلك، نسعى في هذا الجزء من البحث إلى استخلاص أهم الأساليب التي اعتمدتها الآيات الكريمة من سورة الحُجُرات لتوضيح النقاط التربويّة. كما نشير إلى الآيات المعنيّة بدقَّة. لا شكَّ فقد حظيت سورة الحُجُرات بصفتها واحدة من السور الخُلُقيّة التربويّة والاجتماعية في القرآن باهتمام خاصّ من المُفسِّرين عبر التاريخ؛ ولهذا السبب اختيرت هذه السورة لتقديم أمثلة عن الأساليب القرآنيّة. النقطة المُهمّة في ما يتعلّق بمنهجيّة هذا الجزء من المقال هي أنّ تقسيم سورة الحُجُرات المباركة يعتمد على الأساليب السبعة المذكورة، وستندرج جميع آيات هذه السورة ضمن هذه الأقسام السبعة. ونتيجة لذلك، لا يعتمد هذا البحث على ترتيب الآيات بل يرنو لتجميع الآيات ذات الصلة بناءً على كلّ أسلوب ومناقشته.

١-التذكير والتنبيه

التذكير والتنبيه هو أحد الأشكال الأهمّ التي يستخدمها القرآن الكريم لبيان النقاط التربويّة. حتّى أنّ الله يشير في بعض الآيات إلى أنّ الهدف من إنزال القرآن هو تذكير الإنسان وتنبيهه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]. القرآن هو تذكير وتنبيه للعالمين أجمعين، ولكن سيستفيد من هذا التذكير فقط أولئك الذين يسعون إلى إيجاد طريق الهداية: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ۝ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٧-٢٨]. في سورة الحُجُرات أيضًا، يُستخدم هذا الأسلوب لبيان النقاط التربويّة ومفاهيمها. الآيات من سورة الحُجُرات التي استُخدِم فيها هذا الأسلوب هي:

أ. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحُجُرات: ١٣] وفي هذه الآية، يُذكّر اللهُ البشرَ بأحد أسمى المفاهيم والقيم الإنسانيّة، وهو مفهوم

«مساواة الأفراد». الخطاب بـ ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾ يدلّ على أنّ ما ذكر في هذه الآية، على عكس بقية محتويات السورة التي تخصّ المؤمنين، هو لجميع البشر[1]. وقد أُهمِلَ هذا الموضوع بين البشر لا سيّما في الوقت الراهن كثيراً. توضّح هذه الآية هذا الموضوع بشفافيّة وتذكّر الإنسان بأنّ الله قد خلق جميع الأفراد، سواء أكانوا نساءً أم رجالاً، وقد وضعهم في أماكن مختلفة من الأرض وبأشكال متنوّعة، وأنّ معيار تفوّق البشر ليس في الاختلافات الجسديّة والماديّة بل بروح الأفراد التي تميّزهم. معيار التفوّق أو الدونيّة في الروح ليس إلا تقوى الله؛ لأنّ تقوى الله تعدّ قيمة وعامل قرب من الله أو بُعد عنه. النقطة الجديرة بالذكر هي أنّ هذه الآية نزلت في ظروف كان فيها الافتخار بالنَسَبْ القَبَليّ من أسمى افتخارات الأفراد بين العرب، على عكس الأقوام الأخرى في ذلك الوقت، لدرجة أنّ كلّ قبيلة كانت تعدّ نفسها القبيلة الأفضل، وكلّ عرق يعدّ نفسه العرق الأسمى، على عكس بعض الأقوام الأخرى التي ربمّا كانت ترى أنّ المنصب أو الثروة عامل تفوّق الأفراد[2].

ب. الآيات: ﴿**قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الحُجُرات: ١٦ و١٨] التي في هذه الفئة التي يذكّر الله فيها بلهجة عتاب تلك المجموعة من المسلمين التي كانت تُسمّي نفسها مؤمنين ويمنّون على النبي بإيمانهم، بأنّ الإيمان الذي لديهم هو مِنّة من الله، وعليهم أن يشكروا هذه النعمة العظيمة، بينما هم يجعلون إيمانهم وسيلة للمَنّ على النبيّ ﷺ. كما تذكر هذه الآيات أيضًا أنّ الله نفسه عليم بكل

١ - محمّد تقيّ المدرّسيّ: من هدى القرآن، ج١٣، ص٤٣٣.

٢ - ناصر مكارم شيرازي: تفسير نمونه [التفسير الأمثل]، ج٢٢، ص١٩٨.

الأمور ولا حاجة لتذكيره بشيء. ويمكن استخلاص مفهوم تربويّ آخر من هذه الفئة من الآيات هي أن المنّ اللفظيّ من الأعمال السيّئة التي ينبغي تجنّبها. وقد عدّ الله في الآية هذا السلوك مكروهًا جدًّا عند الإنفاق، إذ يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى**﴾ [البقرة: ٢٦٤]. في مقابل هذا النوع من المنّ، ثمَّة نوع آخر، وهو المَنّ العمليّ الذي يصدر من الله؛ حيث يغمر عباده بلطفه ورحمته، كما يقول الله نفسه في: ﴿**بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ**﴾ [الحُجُرات: ١٧]. من النقاط التربويّة المستخلَصة من هذه الآيات أنّ المنّ على المسلم ليس جائزًا، سواء أكان الإسلام مبنيًّا على أهداف ماديّة ذات مصالح تعود بالنفع على الفرد، أم كان الإسلام خالصًا لله؛ فالله هو الذي ينبغي أن يمنّ عليهم[1]. والنتيجة هي أنّ إحدى الطرق الأهمّ في بيان النقاط التربويّة في القرآن هي بيان المفاهيم في قالب التذكير. أحيانًا تُعرض المفاهيم والموضوعات في قالب التذكير فقط، وأحيانًا أخرى تكون مصحوبة ببعض العتاب لتكون تنبيهًا للمخاطبين؛ فالإنسان يحتاج دائمًا إلى مثل هذا التذكير، ولا ينبغي أن يرتدي ثوب العناد أمام هذه المفاهيم الإلهيّة ويكون مثل بني إسرائيل، عندما قيل لهم: خذوا ما آتيناكم من آيات التوراة بإرادة جادّة واسمعوا واقبلوا، قالوا: ﴿**سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا**﴾ [البقرة: ٩٣].

٢- الموعظة والنصيحة

الطريقة الثانية التي استخدمها الله لبيان النقاط التربويّة في القرآن وفي سورة الحُجُرات المباركة هي عرض المطالب في قالب الموعظة والنصيحة. «الموعظة» التي تستخدم بالمعنى

١ - محمّد تقيّ المدرّسيّ: من هدى القرآن، ج١٣، ص٤٤٣.

الاسمي والمصدري، مشتقّة من جذر «وعظ» الذي يعني المنع مع التخويف[1]. تشمل الموعظة أبعادًا مختلفة، ويمكن فهم معناها الدقيق بناءً على تلك الأبعاد:

أ. الموعظة هي أمر بالخير ونهي عن الشر.

ب. في معنى الموعظة، ثمّة تخويف أو ترهيب من عواقب الأمور. وفي القرآن يقول في هذا الصدد: ﴿**وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾ [الأعراف: ١٦٤]. في هذه الآية، اقترنت كلمة «الوعظ» بمعنى التخويف والترهيب.

ج. الهدف من الموعظة هو أخذ العبرة، كما يتّضح من عدد من الآيات المتعلّقة بالأُمم الماضية والأسلاف: ﴿**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [هود: ١٢٠].

د. الموعظة تليّن قلوب المخاطبين وتجعل قبول الكلام أسهل عليهم. يشير الله بوضوح في قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [يونس: ٥٧][2]. بنحو عام، يمكن القول إنّ «الموعظة» هي طريقة تربويّة قرآنيّة؛ لأنّ الواعظ في هذه الطريقة يسعى إلى هداية المخاطب إلى فعل الأعمال الحسنة وتحذيره من فعل الأعمال السيّئة، وهذا هو ما يفعله المربيِّ. وقد استخدمت هذه الطريقة في سورة الحُجُرات أيضًا. الآيات من سورة الحُجُرات التي استُخدمت فيها هذه الطريقة هي:

- ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [الحُجُرات: ٥] التي تعظ المؤمنين الذين خاطبتهم الآيات السابقة بالصبر؛ حيث أشارت الآيات السابقة إلى المؤمنين الذين كانوا يذهبون إلى النبي ﷺ

١ - الراغب الأصفهانيّ: المفردات في غريب القرآن، ص٨٧٦.

٢ - محمّد رضا قائمي مقدّم: روش هاى تربيتى در قرآن [الأساليب التربويّة في القرآن]، ص.ص ٢١٩-٢٢٠.

من حين لآخر، وينادونه بطريقة غير لائقة ليخرج من بيته ويلبّي حاجاتهم، وقد ذمّ القرآن هذا الفعل بشدة. في هذه الآية، يقول عن هؤلاء المؤمنين إنّ الصبر وانتظار خروج النبيﷺ أفضل بكثير من فعل تلك الأعمال السيّئة، ويؤدّي إلى المغفرة للأفراد. وقد نبّهت هذه النقطة التربويّة المُهمّة في قالب الموعظة والنصيحة هذه الفئة من الناس. النقطة التربويّة في الآية هي أنّه في مواجهة الأشخاص غير المهذّبين وغير العاقلين، ينبغي أن نتعامل معهم برحمة وعطف ولا نبثّ اليأس في قلبهم. فالله، بينما يذمّ الذين كانوا ينادون النبي الأكرمﷺ بصوت عالٍ وبصراخ، يطرح مغفرته ورحمته حتّى لا ييأسوا تمامًا ويكون لديهم فرصة لتغيير سلوكهم[1].

- **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾** [الحُجُرات: ٦]. من النقاط الأخرى التي طرحتها هذه الآية على شكل نصيحة وتوجيه، والتي كُتِبت عنها مباحث واسعة جدًّا، هي مسألة خبر الفاسق. في هذه الآية، ينصح الله المؤمنين بالتحقيق في خبر الفاسق حتّى لا يقعوا في عواقب غير مرغوبة ولا يصابوا بالندم. وفقًا للروايات، فإنّ سبب نزول هذه الآية يتعلّق بـ (الوليد بن عقبة) الذي أبلغ النبيّﷺ بأخبار غير صحيحة عن زكاة قبيلة بني المصطلق. بعد ذلك، صدّق المؤمنون خبر (الوليد)، وهيّأوا أنفسهم لقتال هذه القبيلة، ولكن بنزول هذه الآية مُنعت هذه الحرب غير المبرَّرة[2].

١ - محسن قراءتي: تفسير نور [تفسي النور]، ص١٦٦.

٢ - الفضل بن حسن الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، ص٢١٩.

٣-التشجيع والتخويف:

التشجيع والتخويف، أو بعبارة أخرى التبشير والإنذار، وهي إحدى أكثر الطرق استخدامًا في القرآن لبيان المفاهيم التربويّة. التبشير من مادة «بَشَر» بمعنى جلد جسم الإنسان، وكلّما كان المقصود هو الجانب الظاهري للإنسان يُسمّى بشرًا؛ لأنّ جلده ظاهر، فهو ليس كائنًا كثير الشعر. الخبر السار والمفرح يُسمّى بُشرى وبِشارة؛ لأنّ فرحة من ينقل هذا الخبر وكذلك المخاطب تظهر على وجوههما[١]. الإنذار، بمعنى التخويف من عواقب العمل بالقول، ويُقال للمنذِر إنّه من يحذِّر الناس بأخباره. وقد استخدم لفظ المُنذِر في القرآن الكريم في حقّ الأنبياء عليهم السلام، ومرّة واحدة فقط في سورة النجم الآية ٥٦ باعتباره صفة للقرآن الكريم[٢]. ولفهم أهميّة هذا الأسلوب، يكفي أن نعلم أنّ الله في القرآن يُسمّي النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله والأنبياء عامّة منذرين ومبشّرين، ويعدّ الهدف من إرسالهم هو تبشير الناس وإنذارهم: ﴿**وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ**﴾ [الأنعام: ٤٨]. وقد نزلت عدد من آيات القرآن بهدف تشجيع المخاطبين وترهيبهم، ومنها آيات الجنّة والنار، وبشكل عام المَعاد التي تشكّل قرابة سدس آيات القرآن. لذلك، يمكن القول لقد كان التبشير والإنذار الأداة الدعويّة الأهمّ للأنبياء الإلهيين عليهم السلام وسلاحهم الفعّال لتقدّمها. دور هذين في نشر الدين هو دور القائد والسائق. أحدهما يتقدّم ويدعو المهتدين خلفه إلى اتّباعه ويقودهم إلى الأمام، والآخر يدفع الخلق المتخلّفين من الخلف نحو الهدف[٣]. وقد استخدمت هذه الطريقة أيضًا في آيات من سورة الحُجُرات، وهي:

أ. ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ**

---

١ - حسن مصطفوي: التحقيق فى كلمات القرآن الكريم، ص٢٧٤

٢ - حسن مصطفوي: التحقيق فى كلمات القرآن الكريم، ج١٢، ص٩٥؛ السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ: الميزان فى تفسير القرآن، ج١٩، ص٥١.

٣ - السيّد عليّ غضنفري: ره رستگارى [طريق الفلاح]، ج٣، ص١٨٧.

كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحُجُرات: ٢]، وقد استخدم فيها أسلوب التنبيه والتحذير؛ إذ يعدّ الله هنا نتيجة هذا الفعل من المسلمين الذي هو رفع أصواتهم في حضرة النبي الأكرم (صلوات الله عليه وآله) إحباطٌ لثواب أعمالهم الصالحة. مثل هذا التحذير يمنع المسلمين من ارتكاب مثل هذا العمل القبيح وغير المرغوب فيه[١]. كما ذكرنا، قد تستخدم آية واحدة عدّة أساليب مختلفة في الوقت نفسه لبيان النقاط التربويّة، وهذه الآية هي كذلك. يأمر الله في هذه الآية الأشخاص الذين خاطبوا النبيّ ﷺ بقلّة أدب بالابتعاد عن مثل هذا الفعل (النهي)، وإلى جانب هذا النهي، يحذّرهم للتأكيد أكثر.

ب. **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾** [الحُجُرات: ١٠] التي يدخل فيها الله على المؤمنين، كما في عدد من الآيات الأخرى، من باب التشجيع والتبشير لبيان مفهوم سامٍ لهم ليتقّبلوه بقلوبهم وأرواحهم. في هذه الآية، يدعو الله المؤمنين في البداية إلى الأُخوّة بأسلوب الأمر والنهي، وفي النهاية، باستخدام أسلوب التشجيع، ويبيّن لهم نتيجة هذا العمل.

إنّ ما ورد في هذه الآية بوصفه جزاءً للمؤمنين هو شمولهم برحمة الله، وهذا بحدّ ذاته يوفّر دافعًا عاليًا لتنفيذ هذا الأمر. نقطة تربوية أخرى جديرة بالذكر هي أنّ الآخرين عندما يريدون إظهار الكثير من المودّة لمن يشاطرونهم المسار، فإنّهم يخاطبونهم بـ "الصديق أو الرفيق"، لكن الإسلام يرفع مستوى روابط الودّ بين المسلمين إلى درجة أنّه يطرحها من ناحية أنّها أوثق رابطة بين شخصين، وهي رابطة مبنيّة على المساواة والعدل، وهي محبّة الأخوين لبعضهما الآخر[٢].

١ - السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ: الميزان فى تفسير القرآن، ج١٨، ص٣٨٤.
٢ - ناصر مكارم شيرازي: تفسير نمونه [التفسير الأمثل]، ج٢٢، ص١٧٢.

٤-تحريك العواطف

الطريقة الرابعة الأكثر استخدامًا في القرآن لبيان النقاط التربويّة هي تحريك عواطف المخاطبين. وقد استخدم القرآن هذه الطريقة جيّدًا في عدّة آيات، سواء في الخطاب الإلهيّ نفسه أم في القصص التي وردت في القرآن لأهداف تربويّة. على سبيل المثال، يحرّك القرآن عواطف الأبوّة لتخويف الناس من التقسيم غير العادل للميراث، ويصوّر أمام أعينهم معاناة أطفالهم اليتامى: ﴿**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا**﴾ [النساء: ٩]، وكذلك يقول: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا**﴾ [النساء: ١٠]. في هذه الآية، يصوّر الله أكل أموال اليتامى كأكل النار لإثارة مشاعر المخاطبين ضدّ هذا الفعل. في الآية ١٢ من سورة الحُجُرات المباركة، استخدمت هذه الطريقة؛ إذ تقول الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**﴾ [الحُجُرات: ١٢]؛ حيث استخدم الله تعالى في هذه الآية، ضمن حكم تحريم الغيبة، طريقة تحريك عواطف المخاطبين ليجعلهم يتقبّلون الحكم، وذلك بقوله: ﴿**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا**﴾. هذه العبارة هي بمثابة تعليل لحكم تحريم الغيبة؛ إذ تصوّر جوهر فعل الغيبة، ومن خلال تشبيه ذمّ المؤمن الغائب بأكل لحم الأخ المؤمن، فإنّها في الحقيقة تثير عواطف المخاطبين ضدّ هذا الفعل الشنيع[1].

٥-الأمر والنهي

ينبغي عند النظر إلى مكانة الأمر والنهي في الثقافة القرآنيّة، أن نتذكّر أوّلاً العلاقة بين

١ - محسن قراءتي: تفسير نور [تفسير النور]، ج ٩، ص ١٩٤؛ ناصر مكارم الشيرازي، تفسير نمونه [التفسير الأمثل]، ج٤، ص٥٠٤.

الإنسان والله، والتي صُوِّرت في قالب علاقة «العبد» و«الربّ». كما ينبغي الانتباه إلى أنّ أحد أوجه هذه العلاقة في ما بين العبوديّة والربوبيّة هو موضوع الأمر والنهي. وهكذا، نجد أن الصلة بين مفاهيم مثل الطاعة والمعصية تتأسّس على الأمر والنهي، وعلى الربوبيّة والعبادة، وهكذا يحتلّ الأمر والنهي مكانة مهمّة، فضلاً عن أهميّته في الشريعة، في علم التوحيد وحتّى في الرؤية الكونيّة القرآنيّة. إنّ أحد الأساليب الأكثر استخدامًا في بيان المفاهيم التربويّة هو أسلوب «الأمر والنهي». في الأساليب السابقة، كنّا نرى الأمر والنهي الإلهيّ بنحو غير مباشر عن الموضوعات؛ بمعنى أنّ الهدف من بيان قَصص القرآن، أو مواعظ القرآن ونصائحه، أو التذكيرات التي وردت في القرآن حول بعض الموضوعات، كان الدعوة إلى القيام بعمل ما أو الابتعاد عن عمل ما، وهو ما يمكن تسميته «الأمر والنهي غير المباشر». أمّا في هذه الطريقة، فإنّ الله يأمر مباشرة وبصراحة بالقيام بعمل أو ينهى عن القيام به، مثل هذه الآية: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾ [البقرة: ٤٣]. بالطبع، النقطة المُهمّة هنا هي أنّ استخدام صيغة الأمر أو النهي في القرآن لا يعني دائمًا الأمر بعمل ما أو النهي عنه، كما نرى في الآية ٢٨ من سورة نوح التي تعطي معنى الدعاء وليس معنى الأمر: ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي**﴾. في سورة الحُجُرات المباركة أيضًا ثمّة آيات استخدمت هذه الطريقة لبيان المفاهيم والموضوعات، وهي:

أ. ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [الحُجُرات: ١]. هذه الآية في الحقيقة في مقام بيان مبدأ كليّ بين أتباع دين الإسلام، وقد عُبّر عن هذا المبدأ بنحو صحيح في جملة واحدة: ﴿**لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾. هذه العبارة في هذه الآية تنهى جميع المؤمنين عن القيام بأيّ عمل أو التقدّم في أيّ أمر على الله ورسوله. ونتيجة لذلك، وضع الله في هذه الآية، بصفته خالقَ الكون، هذا الأمر باعتباره واجبًا على جميع الناس، والجميع مكلّفون بتنفيذه. ينبغي أن يكون مصدر قوانيننا وسلوكنا هو القرآن وسنة النبي

الأكرم ﷺ. عدم التقدّم على الرسول الإلهيّ لا يشمل فقط المسائل الفقهيّة، بل يشمل أيضًا جميع المسائل السياسيّة والثقافيّة والاجتماعيّة[1].

ب. ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحُجُرات: ٩]. في هذه الآية، يعدّ القتال والنزاع بين المؤمنين من الخطوط الحمراء في المسائل الاجتماعيّة للإسلام، وقد نهى الله عنه بشدّة في هذه الآية وفي آيات أخرى. إنّ وجود الخلافات بين المؤمنين مدمّر ومضرّ لدرجة أنّ الله يأمر في هذه الآية بقتال الطرف الباغي حتّى يحلّ السلام الكامل بين الطرفين المتخاصمين، وقد أمر بإحلال السلام بين الطرفين المتحاربين مرّتين في هذه الآية وحدها. في هذه الآية، استُخدِم أسلوب «الأمر والنهي» بنحو واضح وشفّاف وفي عدّة مواضع من الآية، بحيث يدرك كلّ مؤمن أهميّة هذا الأمر وضرورته جيدًا. بناءً على هذه الآية، نفهم أنّ واجب جميع المسلمين هو منع الحرب والخلاف بين الجماعات المسلمة؛ لأنّ الحرب بين المسلمين تؤدّي إلى إضعاف قوّتهم، بينما ينبغي أن تُستخدم قوّة المسلمين في قتال الأعداء[2].

ج. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ

١ - ناصر مكارم الشيرازي: تفسير نونه [التفسير الأمثل]، ج٢٢، ص١٣٦.
٢ - محمد تقي المدرسي: من هدى القرآن، ج١٣، ص٣٨٥.

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحُجُرات: ١١ و١٢]. في هاتين الآيتين، يذكر الله بعض الرذائل الخُلُقيّة مثل السخرية، والعيوب، والتجسُّس، والغِيبة، وينهى عن ارتكابها. بناءً على ظاهر هاتين الآيتين، فإنّ لهجة الآية هي أمريّة، وتنهى بشدّة عن الرذائل الخُلُقيّة المذكورة، ويمكن عدّ هذه الآية مثالاً على أسلوب الأمر والنهي. عبارة ﴿**وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ**﴾ تنهى عن الانتقاد وإطلاق الألقاب السيئة. كلمة ﴿**أنفسكم**﴾ تشير إلى أنّ المسلمين كجسد واحد، وبالتالي، فإنّ انتقاد الآخرين هو انتقاد للذات[١]. النقطة التربويّة تشير إليها الآيات آنفة الذكر، وهي الأمن الاجتماعي الكامل والشامل. الأوامر الستّة المذكورة في هاتين الآيتين، وهي النهي عن السخرية، وذكر عيوب الآخرين، وإطلاق الألقاب السيئة، وسوء الظن، والتجسّس، والغِيبة، جميعها تهدف إلى توفير الأمن لأربعة أصول رئيسة للإنسان، وهي: النفس، والمال، والعرض، والشرف، وينبغي أن تكون جميعها محميّة ضمن حصون هذا القانون[٢].

٦- تقديم النموذج

الأسلوب السادس الذي استخدمه القرآن الكريم لبيان المفاهيم الخُلُقيّة والتربويّة هو أسلوب «تقديم النموذج». لقد قدّم القرآن، بصفته كتاب هداية للبشرية، أفرادًا بوصفهم نماذجَ مناسبة أو غير مناسبة للحياة، لكي يقارن الناس حياتهم بهم ويجعلوا أنفسهم شبيهين بالصالحين في حضرة الله. على سبيل المثال، يصف الله النبي الأكرم ﷺ بوصفه أنموذجًا يستحقّ الاقتداء والاتّباع ﴿**لقدْ كانَ لكمْ فى رسول اللهِ أسوةٌ حَسَنَةٌ لمنْ كانَ يرجو اللهَ واليومَ الآخرَ وذكرَ اللهَ كَثيرًا**﴾ [الأحزاب: ٢١]، ينبغي على المسلمين التشبّه بهم في

١ - علي أكبر قرشي بنابي: تفسير أحسن الحديث ج١٠، ص٢٨٠.
٢ - ناصر مكارم شيرازي: تفسير نمونه [التفسير الأمثل] ، ج٢٢، ص١٨٥.

أسلوب حياتهم قدر الإمكان. في المقابل، قدّم الله أشخاصًا بوصفهم قدوة للشرّ وللأفعال غير اللائقة؛ فعلى سبيل المثال، قُدّمت زوجات أنبياء مثل نوح ولوط (عليهما السلام) بصفتهما قدوتان سيّئتان للنساء: ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ**﴾ [التحريم: ١٠].

وبالنظر إلى أنّ حياة الإنسان من البداية إلى النهاية ممزوجة بالمعاناة والمشقّة: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ**﴾ [البلد: ٤]، ﴿**إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ**﴾ [الانشقاق: ٦]، فإنّ تقديم أنموذج ناجح قد تغلّب على صعوبات الحياة وسلك طريق السعادة يمكن أن يكون مصدر إلهام وراحة للإنسان، ويقوّي فيه روح الاجتهاد والسعي. النقطة المُهمّة هي أنّه في بعض الحالات، لم يقدّم شخص معيّن بصفته قدوة، بل ذُكرت خصائص لأنموذج معيّن، وسنرى مثالاً على ذلك في آيات سورة الحجر المباركة:

أ. أ. ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ**﴾ [الحُجُرات: ٧]؛ حيث قُدّم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه الآية أيضًا، كما في الآية ٢١ من سورة الأحزاب، بصفته أنموذجًا للسلوك الفرديّ فضلاً عن السلوك الاجتماعي لجميع المسلمين بل ولجميع البشر. والنقطة الجديرة بالاهتمام في الآية هي الإشارة إلى عدم تبعيّة النماذج القرآنيّة، ومن بينها النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) للناس. فلو أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) استمع إلى ما يمليه عامّة الناس، فهذا سيضرّ بالناس أنفسهم. الحالة الصحيحة هي أن نتشبّه نحن بالرُسُل الإلهيين لننال السعادة الأبديّة. من بين النقاط التربويّة التي تسعى هذه الآية إلى بيانها هي ذكر الوجود المبارك لنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) المبارك الذي يعيش بين الناس ويُشكّل مصدر فخر عظيم لهم[1]؛ لذلك ينبغي التصّرف وفقًا لتعاليمه واتّباعه،

١ - حسين شاه عبد العظيمي: تفسير اثنى عشرى [التفسير الاثنى العشريّ]، ج١٢، ص١٨٣.

وعدم طلب منه أبدًا أن يتّبع رغبات الآخرين، بل إنّ شرط الإيمان برسالة الرسول ﷺ هو أن تطلب منه التوجيه في جميع الأمور وتتّبع أقواله وتعاليمه، وترجع إليه في الحوادث والوقائع وتطلب منه التكليف[1].

ب. ب. ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ [الحُجُرات: ١٥]. في هذه الآية، على عكس الآية السابقة التي قدّمت شخصًا معيّنًا (النبي الأكرم) بصفته أنموذجًا للأفراد، تتناول خصائص الفرد المطلوب من منظور القرآن فقط، ويوصّف صورة هذا الشخص. الإيمان بالله ورسوله والجهاد بالمال والنفس في سبيل الله من أهم خصائص هذا الشخص. لذلك، أوّل علامة على الإيمان هي عدم التردّد والشكّ في طريق الإسلام، والعلامة الثانية هي الجهاد بالمال، والعلامة الثالثة والأسمى هي الجهاد بالنفس[2].

٧. رواية القصص

الأسلوب السابع لبيان المحتوى التربويّ في القرآن، هو أسلوب «القصّ» أو بيان المفاهيم في قالب قصص مختلفة مستمدّة من الأمم الماضية أو المعاصرة. يؤكّد القرآن بشدّة على استخدام قالب القصّة لتقديم مفاهيمه. تتناول قرابة ثلث آيات القرآن قصص السابقين وأحداث عصر نزول القرآن. حتّى أنّ عالم الآخرة في القرآن يصوّر في قالب قصّة[3] يمكن عدّ السبب الكامن وراء الاستخدام المكثّف للقصص في القرآن هو القدرة العالية للقصّة على

١ - محمّد حسينيّ همدانيّ: انوار درخشان در تفسير قرآن [الأنوار المتلألئة في تفسير القرآن]، ج١٥، ص٣٨٨.
٢ - ناصر مكارم شيرازي: تفسير نمونه [التفسير الأمثل]، ج٢٢، ص٢١٢.
٣ - صدر الدين بلاغي: قصص قرآن [قصص القرآن]، ص٢٠١.

التأثير في فكر الإنسان وروحه[1]، ولهذا قيل بما أنّ طبيعة الإنسان تنفر من النصح المباشر، فقد قدّم القرآن تعاليمه من خلال القصص وبطريقة غير مباشرة[2]. وقد ذكر القرآن أهدافه من سرد القصص بأنّها طمأنة النبيّ، والموعظة، وتذكير المؤمنين: ﴿**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [هود: ١٢٠]. وقد أوصت عدد من آيات القرآن بالتأمّل في قصص السابقين[3]. وبناءً على آيات القرآن، فإنّ القصص القرآنيّة ليست مختلقة أو أسطوريّة بل هي حقائق يستخلص منها الحكماء العبر وتؤدّي إلى هداية المؤمنين: ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ**﴾ [آل عمران: ٦٢]. ومن بين خصائص القصص القرآنيّة من جهة المحتوى والبنية يمكن ذكر الواقعيّة، والهدفيّة، وبثّ رسالة، وذكر المعجزات والأمور الخارقة للعادة، ووجود أنواع مختلفة من الشخصيّات في القصص[4]. وقد استفادت سورة الحُجُرات -أيضًا- من مزايا عرض المحتوى في قالب القصّة بنحو جيّد، وهو ما سنراه لاحقًا: الآيات ﴿**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [الحُجُرات: ١٤ - ١٧). تشير هذه الآيات إلى قصّة حدثت في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله؛ حيث ذكر

١ - صدر الدين بلاغي: قصص قرآن [قصص القرآن]، ص١٣ و١٤؛ تهماسب طالبي: التاريخ في قصص القرآن، ص.ص ٢٨-٣٣

٢ - صدر الدين بلاغي: قصص قرآن [قصص القرآن]، ص١٣.

٣ - تهماسب طالبي: التاريخ في قصص القرآن، مجله آموزش تاريخ، ص٢٩.

٤ - محمّد رضا سنكري: أهداف السرد القصصيّ وأساليبه، ص.ص٩-٣.

عدد من المفسّرين سبب نزول هذه الآيات، وملخّصه أنَّ جماعة من قبيلة (بني أسد) دخلت المدينة في إحدى سنوات القحط والجفاف على أمل الحصول على مساعدة من النبيّ ﷺ ونطقت بالشهادتين، وقالت للنبيّ ﷺ إن القبائل العربيّة ركبت الخيل وحاربتك، أمّا نحن فقد جئنا إليك بنسائنا وأولادنا ولم نحارب وبهذه الطريقة أرادت أن تمنّ على النبيّ ﷺ[1]. وبالتالي، يمكن القول إنّ هذه الآيات تصوّر مفاهيم مثل عدم المنّ على النبيّ ﷺ، والفرق بين الإسلام والإيمان، ومكانة الإيمان في قالب قصّة من زمن النبي ﷺ، وبيان هذه المفاهيم على شكل قصّة له تأثير كبير في جذب انتباه المخاطبين. وتجدر الإشارة إلى أنّه في هذه الفئة من الآيات، استخدم أسلوب «الأمر والنهي» و«الموعظة والنصيحة» في الوقت نفسه، وقد جرت الإفادة من هاتين الطريقتين بنحو جيّد في قالب القصّة.

خاتمة

بناءً على ما ورد في هذا البحث، يمكن استخلاص النقاط الآتية:

١. تعني التربية تنمية المتربي بواسطة المربيّ وتنشئته وهي عمليّة تدريجية تنشط بمساعدة الأساليب التربويّة.

٢. الأسلوب التربويّ هو طريقة ظهور فعل أو نشاط يصدر من المربيّ للتأثير في المتربيّ. في مجال التعليم والتربية، طُرحت عدد من الأساليب لكيفيّة التربية وذكرت في كتب التعليم والتربية، والهدف الرئيس لجميع هذه الأساليب هو التأثير في الآخر (المتربيّ أو المتربّين).

---

١ - محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان، ج ١٨، ص٣٣٥؛ ناصر مكارم الشيرازي: تفسير نمونه [التفسير الأمثل]، ج٢٢، ص٢٠٩.

٣. لقد بيّن القرآن الكريم قضايا سياسيّة، واجتماعيّة، وثقافيّة، وخُلُقيّة متنوّعة بأشكال مختلفة ولجمهور القرآن في جميع الأوقات بالطريقة المثلى. ما يهمّ في هذا الصدد هو أنّ أسلوب عرض هذه القضايا في القرآن، واكتشافها يساعد المربّين والمعلّمين والآباء كثيرًا في تربية المتربّي والطالب والطفل.

٤. لقد ركّزت الأبحاث التي أجريت حتّى الآن في مجال موضوع التربية في القرآن بنحو أكبر على اكتشاف القضايا التربويّة في القرآن، لكنّ البحث الحالي سعى إلى اكتشاف أساليب عرض القضايا التربويّة في القرآن وتبيينها.

٥. من بين أكثر من عشرين أسلوبًا قرآنيًّا في مجال التربية، ثمّة سبعة أساليب هي الأكثر استخدامًا في القرآن، وهي: أ- التذكير؛ ب- الموعظة والنصيحة؛ ج- التشجيع والعقاب؛ د- تحريك العواطف؛ ه- الأمر والنهي؛ و- تقديم الأنموذج؛ ز- سرد القصص. ح- في سورة الحُجُرات، التي تُعرف بأنها سورة خُلُقيّة وتربويّة في القرآن، استخدمت الأساليب السبعة الآنفة.

لائحة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- محمّد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٦هـ.
- محمّد عالم أحمد زاده: مفهوم شناسی تربیت در قرآن کریم [مفهوم التربية في القرآن الكريم]، راه تربیت [طريق التربية]، ٥(١٣)، ٢٠١٠.
- عسكرى إسلامپور: "روش‌های تربیتی در قرآن" [الأساليب التربويّة في القرآن]، مجله پاسدار اسلام [مجلّة الحرس]، العدد ٢٩٨، ٢٠٠٦.
- علي رضا أعرافي: كليّات فقه التربية، قم، مركز الأبحاث الخاصّ بالحوزة والجامعة، ٢٠٠٨.
- صدر الدين بلاغي: قصص قرآن [قصص القرآن]، طهران، الأمير الكبير، ٢٠٠١.
- عليّ همّت بنازي: تعامل فقه وتربيت [العلاقة بين الفقه والتربية]. قم، انتشارات مؤسّسة الإمام الخمينيّ التعليميّة البحثيّة، ٢٠٠٤.
- السيّد أحمد بور موسى، أمان الله ناصري كريم وند الله: عوامل تربيت در قرآن كريم از ديدگاه استاد قراءتی در تفسير نور [العوامل التربويّة في القرآن الكريم من منظار الأستاذ قراءتي في تفسير النور]، بحث في العلوم الإنسانيّة، ٥(٢٠)، ٢٠٢٠.
- محمّد حسينيّ همدانيّ: انوار درخشان در تفسير قرآن [الأنوار المتلألئة في تفسير القرآن]. طهران، لطفي، ١٤٠٤هـ.
- الراغب الإصفهانيّ: المفردات في غريب القرآن، بيروت، دار العلم، ١٤١٢هـ.
- بهروز رفيعي: آرای دانشمندان مسلمان در تعليم وتربيت ومبانی آن [آراء العلماء المسلمين في التربية والتعليم وأسسها]، قم، مركز أبحاث الحوزة والجامعة، ٢٠٠٢م.
- محمّد مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، بيروت، منشورات دار الفكر،

١٤١٤هـ.

- محمّد رضا سنكري: هدفها وشيوه‌های داستان پردازی در قرآن [أهداف السرد القصصيّ وأساليبه]. مجله آموزش قرآن [مجلّة تعليم القرآن]، ٣(٨)، ٢٠٠٥.
- حسين شاه عبد العظيمي: تفسير اثنى عشرى (ج١٢) [التفسير الاثنى العشريّ]. تهران، ميقات، ١٩٨٤.
- تهماسب طالبي: تاريخ در قصص قرآن [التاريخ في قصص القرآن]، مجله آموزش تاريخ [مجلّة معرفة التاريخ]، العدد٤٤، ٢٠١١.
- السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ: الميزان فى تفسير القرآن، قم، مكتب النشر الإسلاميّ، ١٤٣٠هـ.
- الفضل بن حسن الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٣٠هـ.
- السيّد عليّ غضنفري: ره رستگاری [طريق الفلاح]، طهران، لاهيجي، ٢٠٠٣.
- محمّد رضا قائمي مقدّم: روشهای تربیتی در قرآن [الأساليب التربويّة في القرآن]، قم، مركز أبحاث الحوزة والجامعة، ٢٠١٨.
- عليّ قائمي: روشها وهدفهای تعليم وتربيت در قرآن كريم [أساليب التربية والتعليم وأهدافها في القرآن الكريم]، گلستان قرآن [روض القرآن]، العدد ١٨٣، ٢٠٠٤.
- محسن قراءتي: تفسير نور [تفسي النور]، طهران، المركز الثقافي لدروس القرآن، ٢٠١٩.
- السيّد علي أكبر قرشي بنابي: تفسير أحسن الحديث، طهران، بنياد بعثت، ١٩٩٦م .
- محمّد تقيّ المدرّسيّ: من هدى القرآن، تهران، دار محبي الحسين، ١٤١٩هـ.
- حسن مصطفوى: التحقيق فى كلمات القرآن الكريم، طهران، مؤسّسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة الإسلامية، ١٤١٦هـ.
- محمّد معين: فرهنگ فارسى [معجم الفارسيّة]، طهران، الأمير الكبير، ١٩٨١.

- ناصر مكارم شيرازى: تفسير نمونه [التفسير الأمثل]، طهران، دار الكتب الإسلامية، ٢٠١٨.
- حسن ملكى: درآمدى بر اهداف، اصول وروشهاى تربيت در قرآن [مدخل إلى أهداف التربية في القرآن والمبادئ والأساليب]، مجلة بصيرت وتربيت إسلامى [البصيرة والتربية الإسلاميّة]، ٨(١٩)، ٢٠١١.